دراسة تحليلية لنقش مسند جديد من موقع الأخدود الأثري
قصر السلام في الأخدود

الباحث الأثري/ مشعل عبد الله

جامعة نجران

ملخص البحث

دراسة تحليلية لنقش غير منشور مدون بخط المسند اكتشفه الباحث صدفةً في موقع الأخدود الأثري بمنطقة نجران. تكمن أهمية الاسم الوارد بالنقش في كونه ارتبط باسم منشأة حجرية في مدينة ظربان (الأخدود حالياً) ذات رمزية دينية وسياسية حسب ما ورد في نقشين من نقوش المسند الجنوبي. كذلك اقترن اسم هذه المنشأة بمدينة (رجمة) العتيقة التي ازدهرت واشتهرت في وادي نجران (منذ القرن الثامن قبل الميلاد حتى القرن الرابع قبل الميلاد). وبالتالي فإن هذه الدراسة توجه بوصلة التنقيب الأثري في موقع الأخدود نحو أساسات مطمورة في التراب لا يُستبعد أن تكون أطلال مبنى (المَسْلَم) الذي لا تقل قيمته التاريخية عن مبنى كعبة نجران الموجودة في موقع الأخدود الأثري والمسماة في النقوش المسندية (كأبتن/ الكعبة).

الكلمات الدالة: الأخدود، حرم معبد ذي سماوي، نقش مسلم، الظور.

summary

An analytical study of an unpublished inscription written in Musnad script that the researcher discovered by chance at the archaeological site of Al-Ukhdood in the Najran region. The importance of the name mentioned in the inscription lies in the fact that it was linked to the name of a stone installation in the city of Dharban (currently Al-Al Al-Ukhdood), which has religious and political symbolism, according to what was mentioned in two of the inscriptions of the southern Musnad. The name of this facility is also associated with the ancient city of Rajmah, which flourished and became famous in the Najran Valley (from the eighth century BC until the fourth century BC). Therefore, this study directs the compass of archaeological excavation at the Al-Akhdood site towards foundations buried in the dirt. It is not unlikely that they are the ruins of the (Al-Muslim) building, whose historical value is no less than the Kaaba of

Najran building, which is located at the Al-Akhdood archaeological site and is called in Musnadian inscriptions (Kaabatan/Kaaba)..

Keywords: Al-okhdood, sanctuary of the Heavenly Temple, Maslam inscription, Al-Dhawu

تقديم

اشتهرت ممالك شبه الجزيرة العربية خاصة جنوبها ومنها مملكة مهأمر وأمير في نجران بالمنشآت العمرانية البديعة التي وثقها المؤرخون اليونان والرومان والعرب في سجلاتهم. وعبروا عنها بأوصاف باذخة الجمال رسمت في الأذهان صوراً خيالية لتحف هندسية غاية في الإبداع والإتقان. ثم جاء علم الآثار ليثبت توصيفاتهم ويؤكد أنها حقيقة وليست كلها أساطير. حيث عثر المنقبون على رسمة لأحد القصور في قرية الفاو الأثرية تحاكي تصاميم القصور العربية القديمة.

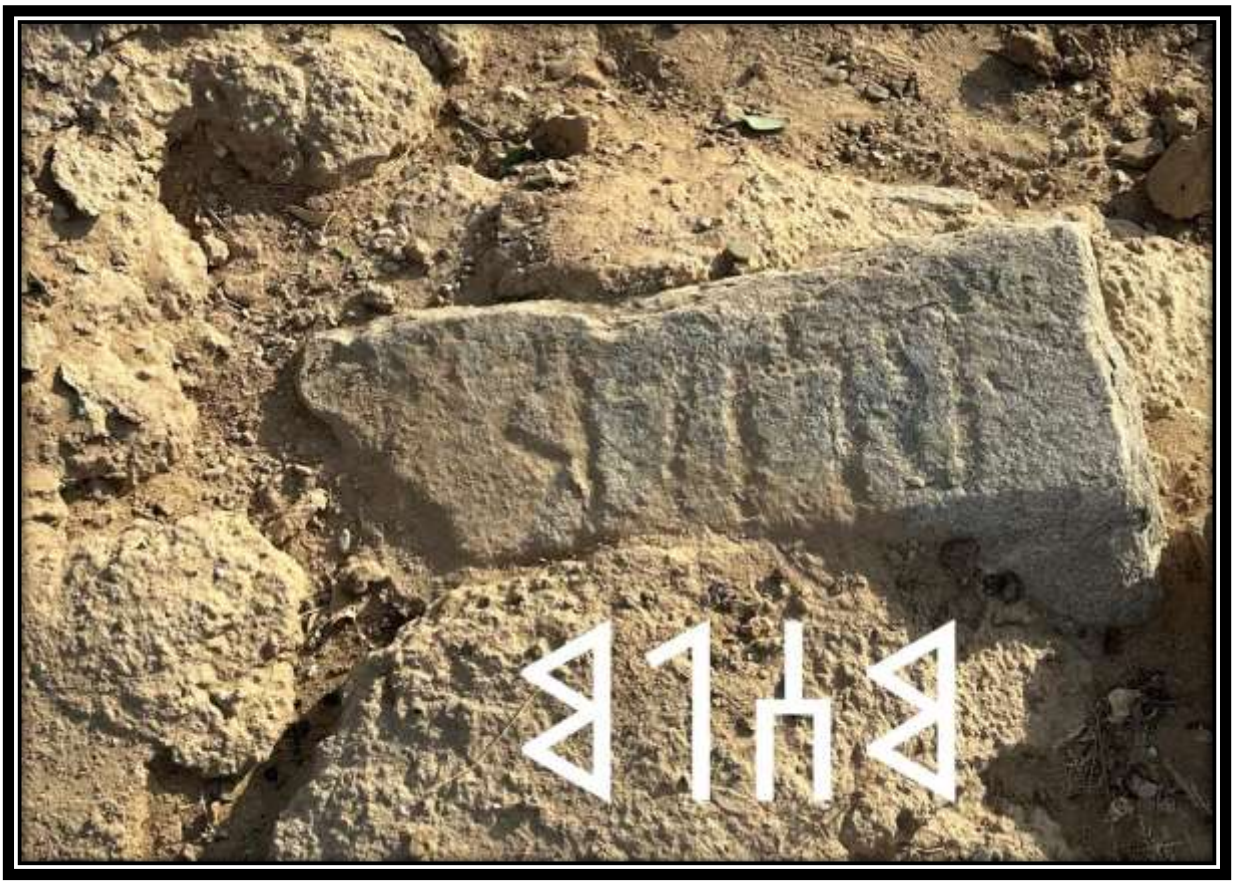

(الشكل ١: نقش مسلم: تصوير الباحث)

(شكل ٢: قصر الفاو: مقتبس من النت: ويكيبيديا)

بعض تلك المنشآت سياسية كالقصور الملكية مثل قصر غمدان في صنعاء، وبعضها دينية مثل كعبة الإله ذي سماوي في نجران، وبعضها خدمية مثل سد مأرب، وبعضها عقائدية كالمقابر الملكية في قرية الفاو. كان للقصور أهمية خاصة في ثقافة عرب شبه الجزيرة قديماً. حيث أصبح القصر الملكي رمزاً قومياً يمثل هيبة الدولة ولا يدخل في الملكية الخاصة للحكام ولكنه يعتبر مُلكاً عاماً للشعب يتعاقب عليه الملوك جيلاً بعد جيل، وكان الملوك يدرجون اسمه ضمن معاهداتهم ويسكُّونه اسماً ورسماً في عملاتهم المعدنية. وهناك قصور تخص الزعماء والأعيان (الأقيال) ولها أيضاً أسماء مستلهمة من ثقافتهم وأنسابهم ومعتقداتهم كما يتضح من أسماء القصور الحجرية في موقع الأخدود الأثري ومنها على سبيل المثال: يفعان، هران، مرداع، يغل.. وهذه الأسماء ذاتها شاع استخدامها في الممالك القديمة المجاورة لنجران. وتسمية القصور ثقافة ورثها النجرانيون وكانت سائدة في مجتمعهم حتى وقت قريب. فنجد أن معظم القصور الطينية يحمل اسماً يُعرف به. وقد يتكرر الاسم ذاته؛ فهناك سبعة قصور طينية متفرقة بين قبائل نجران وتحمل ذات الاسم (مستور) ولدى قبيلة الباحث أحدها.

(الشكل٣: القصر مستور: تصوير الباحث)

نقش (مسلم) من المحتمل أن يكون اسماً لأحد قصور مدينة الأخدود (ظربان قديماً).

ملاحظة: سيرد في هذه المقالة باسم (مش- مسلم). كتسمية أولية؛ فالكلمة الأولى تتضمن أول حرفين من اسم المكتشف (مشعل)، والكلمة الثانية تمثل اسم النقش (مسلم). ولكن قبل أن نبدأ التعريف بالنقش من حيث القيمة التاريخية، والمعنى، والوصف، والموقع، والفترة الزمنية التي ينتمي إليها. من المفيد إعطاء لمحة جغرافية تاريخية موجزة عن مدينة الأخدود الأثرية التي تحتضن النقش.

(الشكل٤: الأخدود: تصوير الباحث)

تقع الأخدود مدينة المعابد والمحافد والأسواق على الضفة الجنوبية لوادي نجران، يحتضنها من الجنوب جبل الحمر، وتحجزها عن الوادي مئات الحقول الزراعية والآبار القديمة وآثار بحيرات نضبت الآن يسمونها الأهالي المجابر (المستنقعات)، منها مجبر ساري ومجبر ابن زليق. ونجران هي مدينة الحقول بامتياز فقد ورد في أحد النقوش المسندية أن ملكاً غزا نجران ودمّر ستين ألف حقل زراعي: "س ث ي / أ أ ل ف م / أعمدم". انظر(Ja 577 +Ja 576 المسجل في مدونة النقوش العربية الجنوبية Dasi).

قبل عقد ونيف توصل الباحثون إلى الاسم القديم لمدينة الأخدود وهو (ظربان) استناداً على النقوش المسندية التي عثرت عليها فرق التنقيب في موقع الأخدود الأثري

Joëlle Beaucamp,)Françoise Briquel chatonnet, et Christian Julien roBin, 2010,

MONOGRAPHIES 32 Le massacre de Najrân II

JUIFS ET CHRÉTIENS EN ARABIE AUX Ve ET VIe SIÈCLES REGARDS CROISÉS SUR LES SOURCES, COLLÈGE DE FRANCE – CNRS CENTRE DE . RECHERCHE D'HISTOIRE ET CIVILISATION DE BYZANCE)

وبما أن غالبية المدن القديمة في جنوب الجزيرة العربية كانت تسمى بأسماء من سكنها من الشخصيات الهامة كرموز الدين والسياسة والمجتمع ومنها مدينة نجران التي يقال بأنها سميت باسم أول حاكم سكنها (نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان). (الحموي ، ياقوت: ١٩٩٥ : معجم *البلدان* ج:٥، ص:٢٦٦، دار الفكر، بيروت). فربما تكون (مدينة ظربان/ الأخدود حالياً) سميت على اسم ظربان بن أمير بن شاكر الهمداني. لحيث وأن قبيلة أمير الهمدانية استوطنت وادي نجران ومحيطه حتى الجوف جنوباً منذ النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد حتى القرن العاشر الميلادي كما تفيد النقوش المسندية. (النقش المسندي المسمى نقش النصر والمعنون RES 3945 المسجل في مدونة النقوش العربية الجنوبية Dasi). وكذلك النقوش الإسلامية كالنقش الذي عثر عليه الباحث في نجران ويعود لشخص ينتهي نسبه بـ (الأميري). وكما تفيدنا كتب التاريخ العربي. انظر (الهمداني: صفة جزيرة العرب: تحقيق: الأكوع: ص:٢٤٢: ١٩٧٧م: دار اليمامة)، وانظر (الهمداني: الإكليل العاشر: ص:١٩٨: ١٩٨٧م: الدار اليمنية)، وكذلك (سيرة الهادي إلى الحق: تحقيق: سهيل زكار:ص:٤١٢: ١٩٧٢م: دار الفكر بيروت). وقد بلغت حضارة أمير ذروة مجدها وازدهارها في القرن الرابع/ الثالث قبل الميلاد حتى بداية العصر المسيحي. حيث تمتعت في هذه الفترة باستقلال سياسي واقتصادي وأصبح لها ملوك نجرانيون يرعون شئونها ومنهم الملك هوت عثت مسك الوارد اسمه في أحد النقوش التي تم اكتشافها في موقع الأخدود الأثري من قبل فرق التنقيب. وقد اشتهرت منطقة نجران بمميزات طبيعية واقتصادية عديدة جعلتها من أهم المراكز الحضارية في شبه الجزيرة العربية قديماً. ولا أدل على ثقلها الاقتصادي من (كنز الأخدود) الذي عثر عليه فريق التنقيب السعودي الفرنسي مطموراً في أطلال مدينة الأخدود الأثرية وهو عبارة عن ٣٠٠٠ عملة تقريباً تعود لملوك حمير وقتبان. وثروة الشهيدة المسيحية رهوم بنت أزمع التي تقدر بـ عشرين ألف دينار. (الثالث ، أغناطيوس (١٩٦٦) *الشهداء الحميريون العرب* ، ص: ١٠٣). ومن تلك المميزات موقعها الجغرافي الاستراتيجي على طريق البخور الذي ينطلق من أقصى جنوب الجزيرة العربية ماراً بنجران ومتفرعاً منها إلى طريقين أحدهما يتجه نحو الشمال

الشرقي ماراً بالفاو.. هجر.. بلاد الرافدين.. الشام. والآخر يتجه نحو الشمال الغربي ماراً بمكة.. دادان.. البتراء.. وصولاً إلى ميناء غزة ومنه إلى مصر. ونجران لا تمثل محطة رئيسية على هذا الشريان الاقتصادي الهام فحسب؛ بل تعتبر مقصداً للقوافل التجارية الشامية واليمانية التي تفرغ أحمالها في أسواقها النشطة وتتزود منها بالمنتجات الزراعية والصناعية المحلية التي اشتهرت بها نجران. يؤكد ذلك نقش مسند جنوبي عثر عليه الباحث صدفة في أحد جبال نجران يؤيد رحلة الشتاء والصيف (الإيلاف) التي ذكرها القرآن الكريم. النقش معنون بـ (R 1850) اكتشفه عالم الآثار البلجيكي جاك ريكمانز.

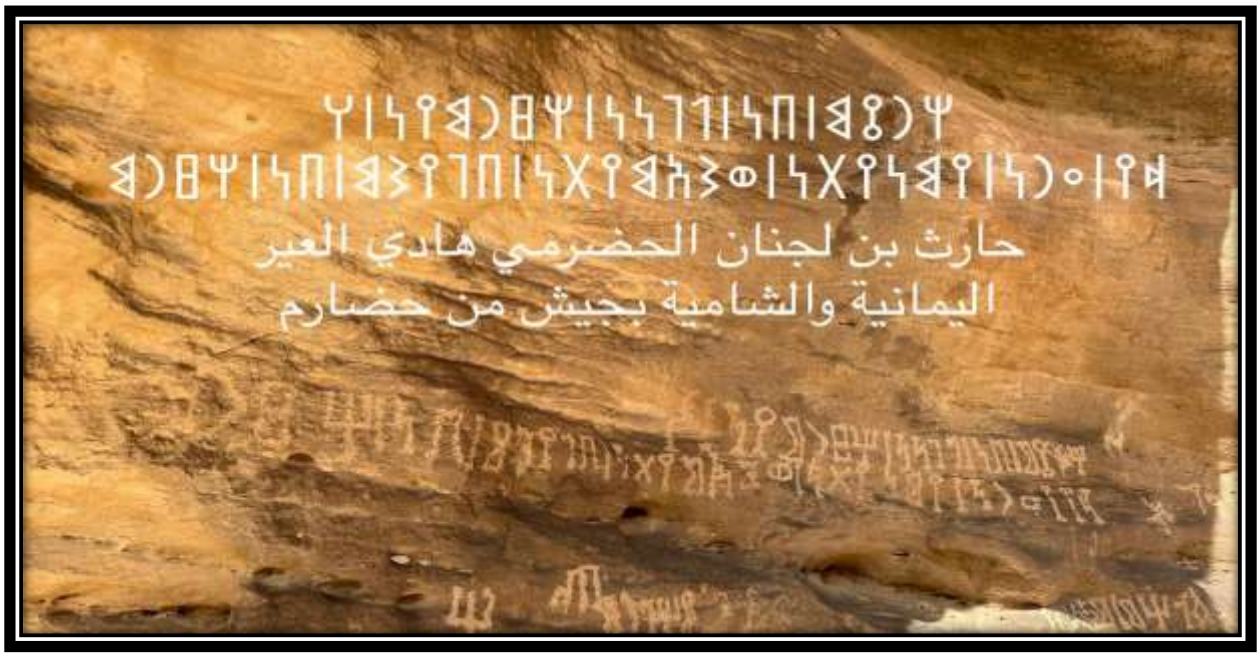

(الشكل٥: نقش الإيلاف: تصوير الباحث)

هذه المميزات والثروات كانت نعمة للنجرانيين وفي الوقت ذاته وبالاً ونقمة عليهم لأنها حركت أطماع الممالك المجاورة. فمنذ القرن الثامن قبل الميلاد وحتى القرن السادس الميلادي تعرضت نجران لحملات عسكرية كثيرة من قبل ملوك سبأ وحمير والرومان ولكن أشهر تلك الحملات العسكرية هي المحرقة التي نفذها الملك الحميري يوسف أسأر (ذو نواس) ضد مسيحيي نجران قبل الإسلام والتي ورد ذكرها في مختلف المصادر التاريخية النقشية والمسيحية والإسلامية وأهمها القرآن الكريم قال تعالى: (وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ). (سورة البروج)

التعريف بنقش (مش- مَسْلَم)

أولاً: الوصف

نقش مدون على حجر جرانيتي رمادي اللون مستطيل الشكل مقصوص بشكل منتظم لكنه تعرض لكسر في أحد جوانبه حيث ينتهي النقش. يقع الحجر شمال الحصن وهو مدفون في التراب لا

يظهر منه سوى السطح المنقوش وهو ينكشف ويندفن من وقت إلى آخر بسبب العواصف الترابية والأمطار. مدون عليه كلمة مكونة من أربعة حروف نُقشت بخط مسند غائر غير جميل (م س ل م). وجه النقش للأعلى وهذا دليل على أن الحجر تم تحريكه من موضعه الأصلي في زمن ما وهذا يجعل من الصعب التنبؤ بمكانه الحقيقي.

ثانياً: المعنى

وردت كلمة (مسلم) في بعض نقوش المسند الجنوبي ومنها حجر مستطيل خاص بالسوائل التي تُراق كنذور تقرباً للمعبود مثل النبيذ والحليب وربما دماء القرابين الحيوانية.

(الشكل ٦ منضدة المسلم: الصورة وصلت إلى الباحث من الدكتور كريستيان روبن)

وفي مقالة حديثة للدكتور خالد الحاج ذكر فيها أن المذبح ورد في النقوش اليمنية القديمة بعدة أسماء منها (مذبحن، مصربن، مسلمن)، وذكر خالد الحاج أن الاسمين (مذبحن و مصربن) يستخدمان للتعبير عن ذبح القرابين الحيوانية، بينما يستخدم اسم (مسلمن = مسلم) للتعبير عن المباخر التي كانت تستخدم لوضع البخور. (خالد عبده، الحاج: ٢٠٢٣م: يونيو: نقش إهدائي سبئي جديد من حصن ثلا- دراسة تحليلية- مجلة ريدان: صنعاء: الجمهورية اليمنية: العدد العاشر: ص١٦٧).

وفي دراسة للدكتورة أسمهان الجرو ذكرت أن المذبح ورد في النقوش المسندية الجنوبية بأسماء منها (المذبح)، و(مَخْتَن)، ووردت الأداة التي تمدد فوقها القرابين الحيوانية عند الذبح بأسماء منها (مَذْبَحَة)، و(مصراب) وهي عبارة عن منضدة صغيرة مخصصة لذبح القرابين وسكب السوائل يتراوح طولها بين ٤٠-٦٦سم، وعرضها بين ٩٤-٢٧سم، وارتفاعها ١٧سم تقريباً. ولها قناة غائرة لتصريف السائل تنتهي عادةً برأس ثور. (أسمهان سعيد، الجرو: ٢٠٠٩: الشعائر والطقوس الدينية في معبد المقة أوام بمارب في ضوء نقوش محرم بلقيس: ص: ١١-١٢).

(الشكل ٧: المصراب كما ورد في دراسة أسمهان الجرو)

في معاجم اللغة العربية ورد لكلمة مسلم عدة معاني يدور مجملها حول السلامة والنجاة من الشرور. "السّلام في الأصل السلامة، يقال: سَلِمَ يَسْلَمُ سَلاماً، ومنه قيل للجنة دار السلام لأنها دار السلامة من الآفات". وتأتي بمعنى النجاة: "سَلِمَ من الأمر سلامة: نجا... قال عز وجل: (والسلام على من اتبع الهدى)، معناه أن من اتبع هدى الله سلم من عذابه وسخطه". (ابن منظور :٢٠٠٠: لسان العرب ج:٧-٨: دار صادر ، ص:٢٤١:صادر، بيروت)

ثالثاً: زمن النقش

بالنظر إلى نمط الخط غير الجميل والحروف غير المتناسقة فيمكن إرجاع زمن النقش إلى الفترة المبكرة (مطلع الألف الأول قبل الميلاد) التي اصطلح علماء الآثار على تسميتها بالفترة (A). حيث أن أشكال الحروف غير المتقنة تعتبر من السمات الخطية الخاصة بتلك الفترة. والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها النقشان اللذان تناولهما الدكتور علي محمد الناشري في دراسة سابقة قال فيها: "أما تاريخها فأقدم النصوص هما نقشا **(Na No ʿ d 3 -4)** المكتوبان بخط المحراث القديم...وربما يعودان إلى القرن الثاني عشر ق.م. أو إلى زمن أقدم منه من المرحلة المبكرة (A) في عصر مكاربة سبأ". انتهى كلامه.

وهي الفترة التي ازدهرت فيها مدينة رجمة العتيقة (قبل القرن الثامن إلى القرن الرابع قبل الميلاد). فاستمرار اسم هذه المنشأة عبر الأزمان دليل على أهمية دورها الوظيفي.

اللوحات

لوحة ١ : نقش (Na Noᶜd 3)

لوحة ٢ : نقش (Na Noᶜd 4)

(الشكل ٨: نقشان مسنديان قديمان: مجلة ريدان)

الدراسة والتحليل

اكتسب النقش موضع البحث (مش- مسلم) أهميته من نقشين من نقوش المسند ورد فيهما اسم (المسلم)، أحدهما نقش ديني تشريعي من نقوش موقع الأخدود الأثري، والثاني نقش سياسي من نقوش اليمن له علاقة مباشرة بنجران.

النقش الأول:

نقش ديني تم اكتشافه في موقع الأخدود معنون بـ (Robin, 2014: 1037) له علاقة بكعبة ظربان المعبد الرئيسي للإله ذي سماوي.

ملاحظة: هذا النقش سيتكرر ذكره في هذه المقالة اختصاراً بنقش (مسلّة الكعبة).

حيث قام البروفيسور كريستيان روبان بقراءة وتحليل نقش (مسّلة الكعبة)، ثم في فترة لاحقة قدم له الدكتور محمد الحاج قراءة وتفسير مماثل تقريباً لما قدمه دكتور روبان. فقد فسّر كل منهما كلمة (المسلم) بـ (المذبح الحجري). ولأن نقش مسلة الكعبة يعتبر من أهم نقوش الأخدود خاصة ونجران عامة لذا سأقدم تفاصيل وافية عنه وسأعرض القراءتين السابقتين الخاصة به، وذلك لأنه يتضمن تشريعاً دينياً صادراً عن الإله ذي سماوي يُشرف على تطبيقه ملك المدينة الذي أقسم في معبد ذي سماوي وتعهد عند كعبته على تأدية هذه المهمة. كذلك يتضمن معلومات تاريخية هامة حيث ورد فيه الاسم القديم للأخدود (ظربان)، واسم (الكأبة) وهو الأصل القديم لكعبة نجران المذكورة في كتب التراث العربي. كما ورد في النقش اسم ملك قبيلة أمير وهي المرة الأولى التي يرد فيها اسم ملك من ملوك قبيلة أمير الهمدانية. ويحتوي كذلك على كلمات عربية فصيحة تستحق التوقف عندها خاصة إذا علمنا أن زمنه التقريبي هو القرن الثالث قبل الميلاد حسب تقدير الباحثين. لن أعيد قراءة وتحليل نقش مسلة الكعبة كاملاً لأنني أتفق مع القراءتين السابقتين باستثناء ما يخص معنى كلمة (المسلم).

[أ] قراءة الدكتور كريستيان روبن:

La seconde inscription, un décret fixant la manière dont doivent être exécutés les sacrifices appelés ʾaqīra à la suite de fautes commises dans le temple du dieu dhu-Samawī de ragmatum dans sa kaʾbat à Ẓirbān, est encore plus notable. Le texte, qui a été établi sur l’ordre du dieu, a été validé par un serment du roi. Le nom et le titre du roi, inconnus précédemment, sont particulièrement intéressants :

...ḏ-S1mwy ḏ[-

١[Rg]mt(m) (b)-kʾbt-hw (b)-Ẓr(bn)

٢[w]- ʾwṯn-hw f-yknn ʿly-hw=ʿ

٣qrtm f-l tʿqrn ldy kʾbt=

٤n b-Ẓrbn w-ḏ yḫṭʾn b-mḥrm

٥ḏ-S1mwy b-ms1lmn w-b ẓwrn/

٦f-yknn ʿly-hw ʿqrtm f-l

٧tʿqrn b-ms1lmn ḥyṯ ḫlq l-h=

٨w w-kwn ḏn ʾmrn b-ʾmr w-m=

٩qs1m ḏ-S1mwy ḏ-Rgmtm ḏ-hqs1=

١٠m ʿd-hw Hwtrʿṯt Ḏrḥn b=

(Christian Robin, Ali b. Ibrahim Al-Ghabban, Sa'id Fäyiz Al-Sa'id (2014) Inscriptions antiques de la région de Najran (Arabie Séoudite méridionale): nouveaux jalons pour l'histoire de l'écriture, de la langue et du calendrier arabes .) انتهى كلام الدكتور روبن.

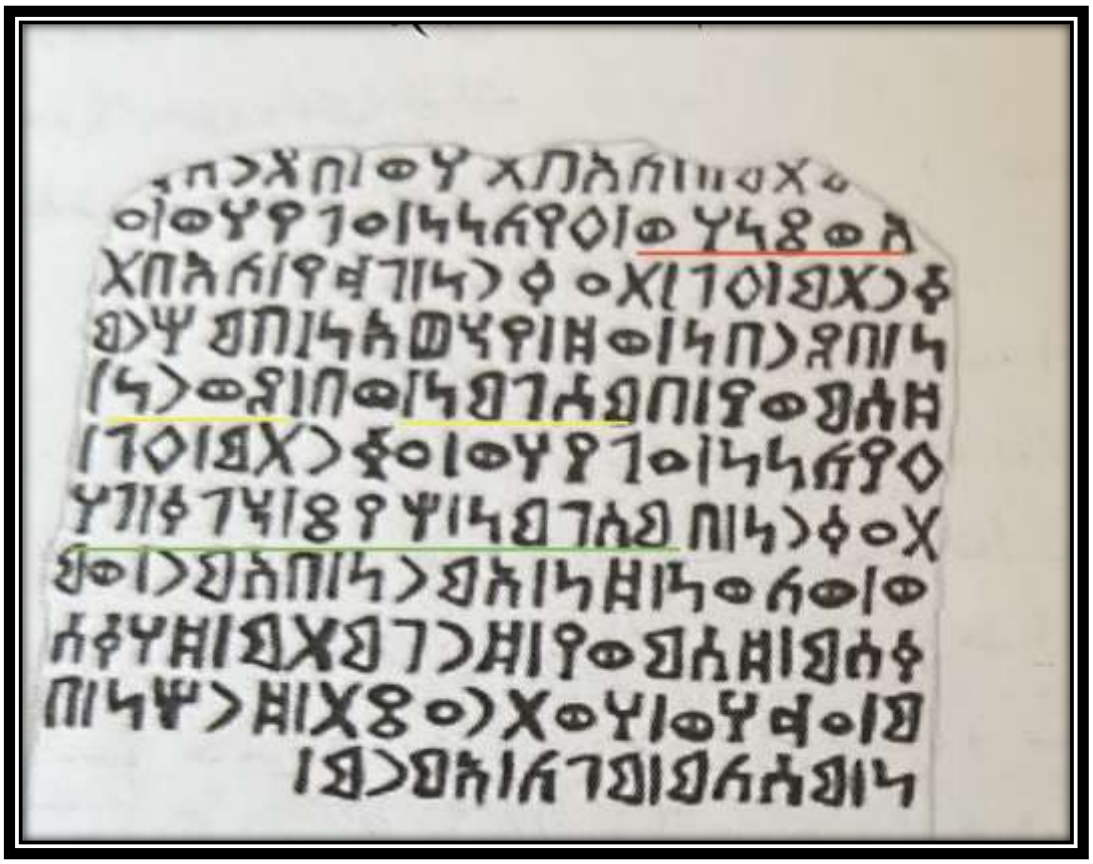

(الشكل ٩مقتبس من محمد الحاج ٢٠١٨ *نقوش مسندية من موقع الأخدود*: ص: ٦٥.)

[ب] قراءة الدكتور محمد الحاج:

... ذ س م و ي/

١- ذ ر ج م ت م/ ب ك أ ب ت هـ و/ ب ظ ر ب ن

٢- و أ و ث ن هـ و/ ف ي ك ن ن/ ع ل ي هـ و/ ع

٣- ق ر ت م/ ف ل/ ت ع ق ر ن/ ل د ي/ ك أ ب ت

٤- ن/ ب ظ ر ب ن/ و ذ/ ي خ ط أ ن/ ب م ح ر م

٥- ذ س م و ي/ ب م س ل م ن/ و ب/ ظ و ر ن

٦- ف ي ك ن ن/ ع ل ي هـ و/ ع ق ر ت م/ ف ل/

٧- ت ع ق ر ن/ ب م س ل م ن/ ح ي ث/ خ ل ق/ ل هـ

٨- و/ و ك و ن/ ذ ن/ أ م ر ن/ ب أ م ر/ و م

٩- ق س م/ ذ س م و ي/ ذ ر ج م ت م/ ذ هـ ق س

١٠- م/ ع د هـ و/ هـ و ت ر ع ث ت/ ذ ر ح ن/ ب

١١- ن/ م س ك م/ م ل ك/ أ م ر م/

المعنى كما أورده الحاج:

ذي سماوي

١- إله رجمة في كأبته (معبده) بمدينة ظربان

٢- وفي حدوده فيكون عليه

٣- عقيرة (ذبيحة) تعقر عند (المعبد المسمّى) الكأبة

٤- بمدينة ظربان، ومن يخطئ (يذنب) في معبد (الإله)

٥- ذي سماوي في مكان الذبح وعلى منصته (جدرانه، صخوره)

٦- فيكون عليه عقيرة (ذبيحة)

٧- فلتعقر على المذبح حيث المكان الذي صُنع له

٨- وهذا الأمر (التشريع) بأمر

٩- وحكم الإله ذي سماوي إله رجمة الذي أقسم

١٠- عنده هوتر عثت ذرحان بن

١١- مسك ملك أمير

انتهى كلام دكتور محمد الحاج. (محمد الحاج: ٢٠١٨: *نقوش مسندية من موقع الأخدود*: ص: ٦٤: كرسي التراث الحضاري: جامعة الملك سعود)

النقش الثاني:

نقش سياسي وردت فيه كلمة المسلم هو النقش الطويل الذي قسمه الدارسون إلى نقشين يحملان العنوان (Ja 576+ Ja 577) ويعودان إلى زمن الملك السبئي إيل شرح يحضب الذي حكم في منتصف القرن الثالث الميلادي تقريباً وشن هجوماً شرساً على نجران أسفر عن خسائر كبيرة في الأنفس والممتلكات فقتل وأسر الكثير من النجرانيين وأحرق آلاف الحقول ودفن عشرات الآبار. هذا النقش ذكر أن مجموعة من أعيان نجران التقوا بالملك إيل شرح يحضب في مكان اسمه (مسلمن) عارضين الخضوع والطاعة بين يديه:

((w-ylfy-hmw kl mrʾs¹ w-ʾḥrr s²ʿbn Ngrn b-ms¹lmn))

"ويلفيهمو/ كل/ مرأس/ وأحرر/ شعبن/ نجرن/ بمسلمن.."

المعنى: قابلهم رؤوساء وأحرار قبيلة نجران في مكان يسمى المسلم.

ملاحظة: هذا النقش سيتكرر في المقالة اختصاراً بنقش (الشرح يحضب). النقش مسجل في مدونة النقوش العربية الجنوبية Dasi بعنوان:

https://dasi.cnr.it/index.php?id=30&prjId=1&corId=0&colId=0&navId=814069389&recId=9044&mark=09044%2C025%2C055

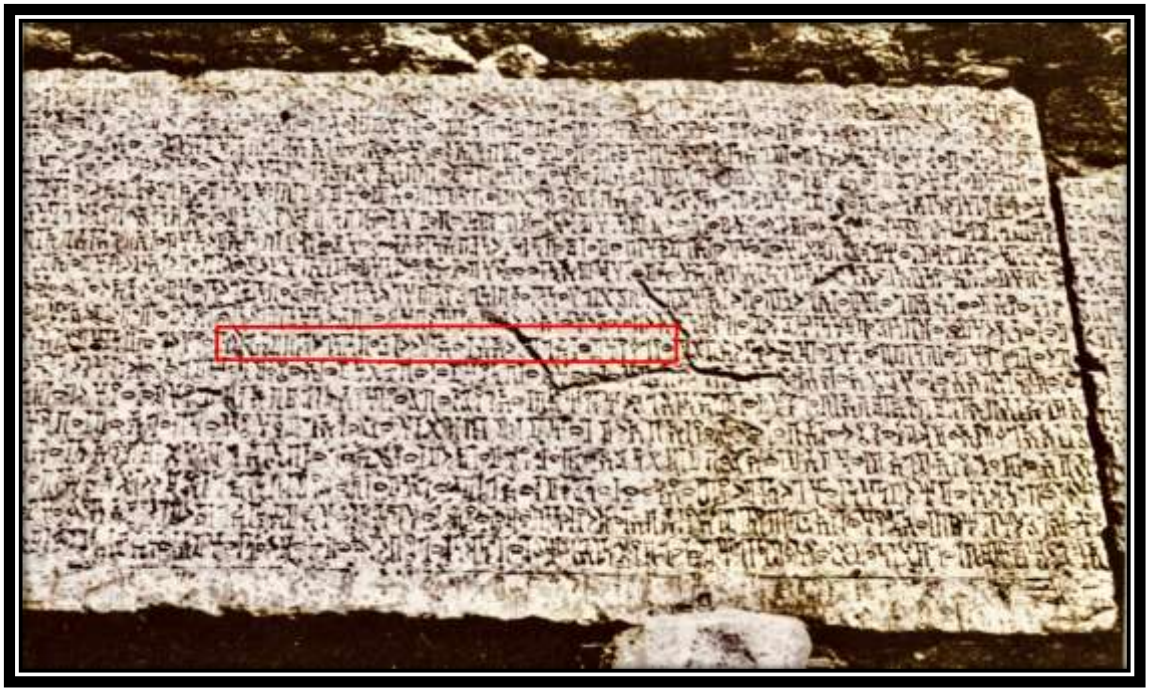

(الشكل ١٠: نقش الشرح يحضب: مقتبس من داسي)

ترتكز المقالة على اكتشاف أثري جديد سيقدم الباحث من خلالها تفسيراً لكلمة (مسلم) يختلف عن تفسيرات الباحثين الذين سبقوه على أمل أن يسهم هذا التفسير في استجلاء المعنى الحقيقي لهذا الاسم الغامض ويبين دوره الوظيفي. ولكن قبل التفسير والتحليل تجدر الإشارة إلى أن النقش (مش- مسلم) غير مُعرّف بحرف النون المسندية التي تلحق بالاسم وتكون بمثابة (الـ التعريف) في اللغة العربية حيث ورد بهذه الصيغة (م س ل م). بينما ورد مُعرّفاً بالنون في نقش مسلة الكعبة، ونقش الشرح يحضب (م س ل م ن). والاختلاف بينهما بسيط لا يغير شيئاً من معنى الاسم.

في الأديان السماوية وكذلك الوضعية (الوثنية والكوكبية) جرت العادة أن يُخصص للمعبد حرم مقدس يكون له حدود معلومة وتشريعات حاكمة لما للمعابد من دور حيوي في حياة الناس الروحية والاجتماعية والاقتصادية. في بعض الثقافات الدينية يُكتفى بالفناء الداخلي كحرم آمن للمعبد. وفي بعضها يتسع الحرم ليشمل المدينة بأكملها كما في الدين الإسلامي. قال رسول الله ﷺ : "المدينة حرم ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل". رواه البخاري ومسلم من حديث الإمام علي.(صحيح البخاري: ١٤٢٢، تحقيق محمد زهير: دار طوق النجاة).

في جنوب شبه الجزيرة العربية كانوا يسمون هذه الحدود الفاصلة (أوثان)، ومصطلح (وثن) مازال دارجاً في لهجة النجرانيين حتى اليوم ويقصدون به الحد الفاصل بين أرضين سواءً كان هذا الحد طبيعي كالشجر والحجر وقنوات الري، أو كان من صنع الإنسان كالبنيان (البيوت والقصور..).

يرى الباحث أن اسم (مسلم) الوارد في النقوش الثلاثة (مسلة الكعبة، الشرح يحضب، مش- مسلم) هو أحد حدود (أوثان) حرم معبد الإله ذي سماوي الذي يضم الكأبة (الكعبة) الموجود في مدينة ظربان (الأخدود قديماً). ذلك الحرم الآمن الذي يتوجب على من أخطأ فيه التكفير عن ذنبه بإعلان الندم والتوبة ونحر الحيوانات تقرباً إلى ذي سماوي. حيث وردت في مطلع نقش مسلة الكعبة كلمة أوثان:

(ب ك أ ب ت هـ و/ ب ظ ر ب ن و أ و ث ن هـ و).

المعنى: حدود حرم معبد ذي سماوي الذي يضم الكعبة ويوجد في مدينة ظربان، فهو يتحدث عن منطقة محرمة (الفناء الخارجي لمعبد ذي سماوي). وبما أن نقش مسلة الكعبة هو نص ديني تشريعي ومن سمات النصوص التشريعية عموماً الصياغة الواضحة بحيث تتضمن تعليمات صريحة مباشرة ومعلومات مفهومة للجميع؛ فبالتالي لا معنى لكلمة (أوثانه) في بداية النقش إذا لم

يتم تحديد وتوضيح هذه الأوثان في السطور اللاحقة. فهل حدد نقش (مسلة الكعبة) حدود حرم كعبة ذي سماوي؟!

نعم؛ يفترض الباحث أن نقش مسلة الكعبة قد حدد حرم المعبد بين مكانين (وثنين) هما المسلم والظور. حيث يقول في السطرين الرابع والخامس:

٤- ... و ذ/ ي خ ط أ ن/ ب م ح ر م

٥- ذ س م و ي/ ب م س ل م ن/ و ب/ ظ و ر ن

المعنى: الذي يخطئ في حرم معبد ذي سماوي الواقع بين حدّيه المسلم والظور؛ فإنه يتوجب عليه....

والدليل على ذلك أن كلمتي مسلم والظور وردتا بعد جملة (محرم ذي سماوي) مباشرة لتشرحا وتوضحا حدود هذا الحرم. والباء حرف جر تكرر مرتين ليس ليعبر عن مكانين بعينهما بل ليحدد المنطقة الواقعة بين المكانين وهي حرم معبد ذي سماوي، ليصبح شكل الجملة (حرم معبد ذي سماوي من المسلم وإلى الظور)، لحيث أن حروف الجر في اللغة العربية يجوز أن تنوب عن بعضها البعض وما خط المسند الجنوبي والشمالي إلا شكل من أشكال العربية القديمة. وبناءً عليه فنقش مسلة الكعبة يتحدث عن مكانين هامين أحدهما هو(المسلم)، ولا يتحدث عن أداة حجرية لذبح القرابين تحمل اسم (المسلم) كما فسرها الباحثون. وهذان المكانان الهامان مرتبطان بكلمة (أوثنهو) في مطلع النقش أي أوثان حرم معبد ذي سماوي المتضمن مبنى الكعبة (كأبتن).

الوثن الأول

المَسْلَم/ مَسْلَم: هو الوثن الشمالي لحرم معبد ذي سماوي، ربما يكون هذا الوثن عبارة عن قصر يجتمع فيه أهل الحل والعقد لتنظيم وإدارة شئون المعبد والمدينة وهذا هو المرجح عندي. وربما يكون اسم الباب الذي يدلف منه الزوّار إلى فناء معبد الإله ذي سماوي. وجدير بنا أن نتذكر باب السّلام في الحرم المكي الشريف، وباب السّلام في المسجد النبوي الشريف. فالمعنى أن من دخل إلى حرم ذي سماوي كان آمناً سالماً مطمئنا في عقيدة أتباع الإله ذي سماوي.

الوثن الثاني

الظور: من معانيها في المعجم اليمني الجبل المستدق (مطهر الإرياني:١٩٩٦، المعجم اليمني: ص: ٦٠٠ ، دار الفكر، دمشق) وفي المعجم السبئي للنقوش وردت بمعنى (الصَّفا) وهو الصخر الأملس في الجبل (د. محمد مادون: معجم المربد للنقوش المدونة بخط المسند وفروعه: ص: ٢٢٣: دار الهلال دمشق) هذا المعنى يقودنا إلى جبل الحمر الحاضن الصخري لمدينة ظربان (الأخدود حالياً) من جهة الجنوب. لحيث أن وصف (الجبل المستدق) ينطبق على شكل جبل الحمر، فهيكل

الجبل يبدأ ضخماً كبير الحجم من جهة الغرب ثم يستدق شيئاً فشيئاً كلما اتجه إلى الشرق حتى يصبح رأسه مسنناً عند الجبيل الصغير المسمى عند الأهالي (الأغيبر) تصغير الأغبر. فجبل الحمر في الأساس عبارة عن سلسلة تتضمن جبل الحمر المعروف وجبل السوداء وجبل الأغيبر. ويرى الباحث أن أسماء هذه الجبال مشتقة من ألوان المعادن، فقد عثر في هذا الحاضن الصخري للأخدود على آثار تعدين قديمة ونقوش معكوسة ربما تكون نماذج يتم محاكاتها عند سك العملات وطبع الأختام. وبناءً عليه فإن جبل الحمر كاملاً أو الصّفا الموجود في سفحه هو الوثن الجنوبي لحرم كعبة ظربان الوارد في نقش مسلة الكعبة باسم (ظورن).

(الشكل ١١ :الظور، سلسلة جبال الحمر)

ومن اللافت أنه يوجد في قاعدة الجبل آثار قديمة وقف عليها الباحث ومنها أساسات غرف حجرية، وقطعة مربعة مصنوعة من طلاء جبسي تبلغ سماكته ٧سم تقريباً موجودة تحت الصفا يبدو أنها بقايا أرضية لحجرة أو معلم تم تثبيته لغرض ما في الأزمان البعيدة.

(الشكل١٢: آثار في قاعدة جبل الحمر: تصوير الباحث)

إن سياق نقش (مسلة الكعبة)، ونقش (الشرح يحضب)، بالإضافة إلى شكل حجر نقش (مش- مسلم) جميعها تشير إلى (مكان هام) وليس إلى أداة حجرية صغيرة، وهذا التصوّر يوجه بوصلة المعنى نحو مكان اشتهر بالسّلام والأمان وليس بإراقة الدماء. فمعنى اسم (مَسْلَم أو مُسْلِم) هو المعنى الدال على السلام والنجاة من الآفات مشتق من الجذر (سَلَمَ)، يَسْلَمُ سَلْماً سَلاماً، وهو معنى ينسجم مع سياق نقش (مسلة الكعبة) ويلائم شكل حجر (مش- مسلم) الذي قطعاً لا يشبه منضدة الذبح. وقد عثر الباحث في أحد الجبال الواقعة شمال مدينة نجران على نقش مسندي باسم (مسلم طغل) وهو اسم علم ثنائي (مسلم بن طغل)، ولا غرابة في ذلك فـ (مُسْلِم) اسم عربي أصيل وممن حمله مسلم بن عقيل بن أبي طالب (توفي ٦٠ هـ)، ومسلم اللحجي (توفي ٥٤٥ هـ). كما عثر الباحث على مجموعة أسماء منقوشة بخط المسند جميعها من مشتقات السّلم وتدور حول معاني (السّلام والأمان، البراءة والخلوص من كل الشرور) ومنها: مسلمة، سلمان، سلامة، أسلم، سالم، سليم.

مَسْلَم على وزن (مَفْعَل) وهي صيغة تدل على اكتساب المكان لصفة ما بسبب ممارسة الناس المتكررة لفعل معين في هذا المكان مثل: سَعَى/ مَسْعَى، أمِنَ/ مَأمَن، نَجَا/ مَنْجَى، كَتَبَ/ مَكْتَب، بكى/ مَبْكَى، سجد/ مَسْجد، سَلِمَ/ مَسْلَم..

وقد تكون القراءة (مِسْلَام) -لأن الحروف اللينة تنطق ولا تُكتب في المسند- وهي صيغة مبالغة على وزن (مِفْعَال) تفيد المبالغة في ممارسة صفة نحو: مِقْدَام، مِعْطَاء، مِسْلَام والصفة هنا هي السَّلَام (الأمان والنجاة).

وعلى ضوء ذلك فإن حرم كعبة ذي سماوي يتمثل في المنطقة الممتدة من جبل الحمر جنوباً إلى قصر السّلام شمالاً. ولعلّ تكرار كلمات مثل: (يخطئ)، و(تعقرن)، و(عقيرة)، وحرف الباء الدال على ظرف المكان (بـ حرم ذي سماوي، بـ مسلمن، و بـ ظورن)، في نقش مسلة الكعبة جعل المعنى يلتبس على الباحثين وأوهمهم أن النص يتحدث عن أكثر من معبد وعن أداة ذبح وجدران مذبح وغير ذلك. في حين أنه يتحدث عن معبد واحد هو المعبد الرئيسي للإله ذو سماوي الذي توجد فيه (كأبتن/ الكعبة)، ويشرح حدود هذا الحرم. والتكرار كان بقصد التأكيد والتغليظ نظراً لأهمية المعبد. ثم أنه في الحضارات القديمة يكون المذبح جزء من المعبد وبالتالي لا معنى لتخصيصه بالذكر عند الحديث عن المعبد. ومن باب أولى عدم تخصيص مائدة الذبح بالذكر وهي الكائنة داخل المذبح الذي يوجد داخل المعبد!.

فمثلاً ورد في السطر الثالث من نقش مسلة الكعبة:

٣- ف ل/ ت ع ق ر ن/ ل د ي/ ك أ ب ت

المعنى: يجب نحر القربان الحيواني عند الكعبة. فهذه الجملة تعني ضمنياً نحر الذبيحة في المكان المخصص للذبح (المذبح) داخل حرم المعبد. لأن الدم يعتبر من النجاسات في ثقافة شعوب جنوب الجزيرة العربية قديماً حتى لو كان دم قربان؛ لذا فمن المنطقي أن لا يُراق الدم في ساحة وجدران كعبة ذي سماوي لأنها مقدسة ويحرم تدنيسها. وثمة سبب آخر يدعو لاستبعاد (منضدة الذبح) عن (مسلم)؛ حيث ورد اسم (مذبح) في نقوش موقع الأخدود نفسها بهذه الصيغة (م ذ ب ح م/ مذبحٌ)، أي المكان المخصص لذبح الحيوانات وهو الاسم الذي نعرفه اليوم. النقش [ḫdūd 20U]. (محمد، الحاج: ٢٠١٨، نقوش مسندية من موقع الأخدود: ص: ١٦٥:كرسي التراث الحضاري، جامعة الملك سعود). ولو سلّمنا أن المقصود بـ (المسلم) في نقش مسلة الكعبة هي مائدة الذبح؛ فإن (المسلم) الواردة في السطر السابع ربما تكون هي المقصودة حيث تقول الفقرة:

٧- ت ع ق ر ن/ ب م س ل م ن/ ح ي ث/ خ ل ق/ ل هـ

المعنى: تُذْبَح بالمَسْلَم المُعَد خصيصاً لهذا الشأن. حيث ورد بعد كلمة المسلم عبارة مفسّرة لها الأ وهي: (حيث خلق له). أي المصنوع لهذا الغرض. فقد يكون الناقش رغب في التفريق بين المَسْلَمَيْن. المسلم الوثن (السطر الخامس)، والمسلم منضدة الذبح (السطر السابع). إذ لا داعي لشرح وظيفة هذه الأداة الحجرية مادامت معروفة لدى الجميع فالمعروف لا يُعرّف. إلّا إذا كان هناك سبب يستدعي التوضيح والتفصيل. والسبب في هذه الحالة هو تشابه الاسمين.

ربما يكون المكان الحالي للنقش (مش- مسلم) هو مكانه الأصلي (شمال الحصن)، ولكن تم تحريك الحجر من موضعه لسبب ما في زمن لاحق. أو لعل أحداً جلبه من مكان آخر. فمن المحتمل أنه نُقِلَ من البناء الحجري المستطيل الذي يقع شمال شجرتي السدر. فهذا البناء المجهول يبعد عن الحصن

بنفس المسافة التي يبعدها الصفا (الظور) تقريباً. وبالتالي ربما تكون هذه المنشأة المستطيلة الواقعة في الشمال الشرقي للحصن هي المسلم (قصر السلام/ باب السلام).

الخاتمة

نقش (مش- مسلم) على قدر كبير من الأهمية لأنه أخرج لنا إحدى المنشآت العمرانية التي كان لها دور ديني وسياسي هام في تاريخ نجران قبل الإسلام. هذه المنشأة تمثل حدّاً من حدود حرم المعبد الرئيسي لذي سماوي إله مدينة رجمة القديمة سواءً كانت باسم رجل (مُسْلِم، مَسْلَم)، أو كان اسماً يرمز للسلام. ومن المرجح أن مبنى المسلم تأسس منذ فترة مبكرة بالتزامن مع بناء كعبة المعبد وارتبط اسمه بها واستمر محتفظاً بمكانته الدينية عبر العصور. كما أن اسم (مسلم) يوحي بوجود أصل قديم لمصطلح (السّلام) في لغة العرب وأنهم لم يقترضوه من اللغة العبرية (شلوم/ سلام). ولا غرابة في فصاحة نقوش نجران المسندية فموقع نجران الجغرافي المتمثل في كونها همزة وصل بين شمال الجزيرة العربية وجنوبها أدى إلى حالة من التداخل والاندماج الحضاري الذي انعكس على هوية النجرانيين عبر العصور دينياً وثقافياً.

دينياً: في الزمن الذي كانت سبأ تعكف على معبودها الكوكبي (المقة)، والحجاز تعكف على معبودها الوثني (هُبَل) كانت نجران تعبد الإله ذي سماوي الذي يعتقد بعض الباحثين ومنهم الدكتور محمد مرقطن المتخصص في لغات وحضارات الشرق القديم أنه يمثل إرهاصات التوحيد الأولى. ولعل هذا الدين العربي القديم جعل من نجران أرضاً خصبة لاستقبال الأديان الإبراهيمية منذ القرن الرابع الميلادي ومن ثم انتشارها في أصقاع الجزيرة العربية. ومن الأدلة على ذلك نقش مسندي اكتشفه الباحث في جبل الحمر (الظور) يعود لرجل اسمه سعد من عائلة ملكان (أتباع ذي سماوي قبل الميلاد) رسم الصليب المسيحي تحت اسمه.

ثقافياً: لغة نجران القديمة السابقة للإسلام هي عربية فصيحة ذات خصائص تميزها عن عربية الشمال وعربية الجنوب كما تؤكد ذلك نقوش المسند الجنوبي التي نحتها النجرانيون القدماء في الصخور وصحائف المعدن. ومن تلك القبائل والعائلات النجرانية الذين تكررت نقوشهم في أرجاء نجران: أمير، ملكان، الحنكي، الغلواني، قريّان، ذو أحدب، ذوجنأ، ذو ثعلبان، وغيرهم. حيث كان لهم لهجة فصيحة خاصة ظهرت في النقوش المسندية وأبرزها نقش (مسلة الكعبة) المكتشف في موقع الأخدود، ونقش (عجل بن هفعم) المكتشف في قرية الفاو. ونقش (الحارث وبشر والحارث ذو ثعلبان) في جبل خشم العان بنجران الذي نُشِرت صورته لأول مرة في حساب الباحث على منصة إكس حيث شكلت نجران ومحيطها (مدن وقرى الجوف والفاو) وحدة ثقافية متميزة لغوياً عن شعوب الجزيرة العربية بوجود بعض الخصائص اللغوية في لهجتهم وبعض المفردات العربية الخالصة في تلك الأزمان البعيدة.

Christian Julien ROBIN, (2023) , LE VIEIL-ARABE DE NAJRĀN , (une variété archaïque de la langue arabe dans la région de Najran vers le début de l'ère chrétienne) , Association Semitica & classica.

وقد ورث النجرانيون الفصاحة عبر العصور حيث أشار إلى فصاحتهم العلامة الهمداني في القرن الرابع الهجري بقوله: "الفصاحة من العرض في وادعة فجنب فيام فزبيد فبني الحارث فما اتصل ببلد شاكر من نجران إلى أرض يام". (الحسن، الهمداني: ١٩٧٧صفة جزيرة العرب: تحقيق الأكوع: ص: ٢٤٨-٢٥٠ : دار اليمامة)

وقال فؤاد حمزة: "أفصح اللهجات وأقربها إلى الفصحى -فيما نعتقد- هي اللهجات اليمانية الواقعة ما بين جنوبي الحجاز وشمالي اليمن، وكثيرًا ما سمعنا أهل هذه البلاد يلفظون الكلمات من مخارجها الصحيحة، ويتكلمون بما هو أقرب إلى الفصيح من سواه، وبعض البداة من أهل المنطقة يُخرجون جملاً يظن منها الإنسان أنهم تمرنوا في المدارس على إخراجها على ذلك النحو، بينما أن الحقيقة هي بخلاف ذلك، لأنهم يتكلمون بالسليقة وعلى البديهة فيجيء كلامهم فصيحًا معربًا لا غبارعليه. ويستعملون ألفاظًا نظنها في الأقطار العربية المتمدنة مهملة ومتروكة ولكنهم يستعملونها على البداهة". (فؤاد حمزة:٢٠٠٢: قلب جزيرة العرب:ص:٩٩: مكتبة الثقافة الدينية)

ومن الشخصيات النجرانية البارزة التي تؤيد هذا التمازج الثقافي بين عرب الشمال وعرب الجنوب في مدينة العرب العريقة: أفعى نجران الجرهمي (عرب الجنوب)، أسقف نجران قس بن ساعدة الإيادي (عرب الشمال)، أبو حارثة بن علقمة أسقف نجران (عرب الشمال)، يزيد بن عبد المدان (عرب الجنوب) وغيرهم كثير. وعلى ضوء ما سبق نستطيع القول بأن النجرانيين اكتسبوا باقة منوعة من الصفات المميزة والقيم الأخلاقية الحميدة؛ فقد اجتمعت فيهم أنفة وفصاحة وكرم عرب الشمال، وحكمة وإيمان وشدة بأس عرب الجنوب. فلا عجب أن يخرج من أطلال مدينة المؤمنين نقش يُعبّر عن السلام بلسانٍ عربيٍّ مبين.

(التعليقات)

في زياراتي المتكررة لموقع الأخدود الأثري كنت ألحظ وجود أحجار على سطح الأرض تتضمن نقوش. بعض هذه النقوش مكشوف بالكامل وبعضها الآخر لا يظهر منه سوى جزء والباقي مطمور في التراب. ولأن إزالة التراب عن هذه النقوش وتحريكها يعتبر مخالفة يعاقب عليها نظام الآثار السعودي لأن ذلك من اختصاص الجهات الرسمية المعنية بالمسح الأثري والتنقيب؛ لذلك كان الباحث يكتفي بالمشاهدة وتسجيل الملاحظات والتقاط الصور كما يفعل زوار المواقع الأثرية. وبتوفيق من الله سبحانه وتعالى اكتشف الباحث سبعة نقوش مسندية في موقع الأخدود لم يكتشفها المنقبون من قبل. وهذه البحث مخصص للحديث عن أهم تلك النقوش على الإطلاق؛ ألا وهو نقش (م س ل م).